



الرئيسية ثقافة

رَباعيات علي جازو...الأشياء كما يراها الآن

دجو القارج | الخميس 2025/05/29



الزّمن عند الشّاعر تكثيف للنّهاية

مشاركة عبر

⊖ حجم الخط ⊕



يا وجه الصّباح، يا رثات الأشجار؟

هكذا يبدأ الشّاعر علي جازو ديوانه الصّادر حديثاً عن دار مرفأ للثقافة والنّشر. وقد اختار جازو الربّاعيات وتحت رايتها شحذ قصائده، فكأنّها أربع التفافات من وهل واستغراب، أو أربع بومات على غصنٍ واحدٍ والغصن وحده يدور حول نفسه، أو أربع سجدات ناعسات فوق الصّجر. يمكن لجازو أن يقول بأربعة أسطر ما يظنّ أنّنا لن نتبعه لنلتقطه إن عبّر عنه بأكثر من ذلك، ويمكنه أيضاً أن يضع تلك الربّاعيات أمامنا كأنّه يفرضها عليها، بصدق واستسلام يبرّره كأنّه سيصبح ملاكاً سقط خطأ من السّماء. هذه القصائد التي يجمعها الشّاعر في ديوانه هذا، تقول بالتّالي: "هكذا كان، هكذا حصل، أقول ما يكفي، لن أقول لكم أكثر". وما نحاول أن نفهمه، نحن الذين يهرب نظراً منّا كخرطوم يفلته من يدنا ضغط المياه الصّاخ فيه، ما نحاول أن نفهمه من العالم ومن رباعيات جازو، هو قدر الأشياء. ألا تستحقّ الأمور أن يقال عنها أكثر مما يقول عنها الإيجاز ليس لسبب آخر سوى أنّها هي الأمور هكذا؟

ضربة معلّم، صمت التّاسك يطلع عن صمته

أن يطلّ علينا التّاسك البوذيّ في أعالي جبال الهند وبعد صمتٍ مديد يهمس "الأرض" فنهّل كلّنا مع بعضنا وندّعي في بهجة خاطفة أننا لمسنا الحقيقة الباهرة لبرهة. أن يستبق مدرّب الفريق الضّاغط الحدث وبينما يمرّر لاعب الكرة لزميله برويّة يتمتم "هدف" قبل أن يُسجّل هذا الأخير ونحتفل في المدرّجات كأنّ أحداً يمكنه أخيراً أن يقرأ طالعنا. وهكذا نُسلم الإيجاز الحكمة، ونُجلسه على عرشٍ في الجبال والغيوم تحته تحرس كالخدم. كأنّ الذي يُكثر الكلام، حبّاً بالكلام، يفقد مع كل حرف إضافي مكانته وقيمة ما يعبر عنه. كأنّ القلّة هي النّدرّة، والتّعيين يأتي بالإصابة والصّمت الشّديد يضغط الحقيقة والدّهشة معاً. وفي الحقيقة، إيجاز جازو إيجاز كلامي أكثر من أنّه إيجاز شعريّ. وأعني بذلك أن الأثر الأساسي الذي فرضه الإيجاز على قصائد جازو لم يكن التّكثيف من شاعريّة صوره الإبداعية، إذ لا يؤثر هذا الأخير على معيار شاعريّة الصّورة في مجمل قصائده. فيقول مثلاً:

"لو كنت خفيضةً دانية،

مثل سماء نيسان،

لما تسكّعت طوال الليل



تشبيهه انخفاضاها بسماء نيسان، وهذا الانخفاض الطيّب، الحنون، الطريّ الذي ينزل به جازو من وحدته إلى العالم، فهذا أبعد من الإيجاز، إنّه أقرب إلى الصّدق، الصّدق الذي يخرج منّا كالأستسلام حين نحاصر في الزاوية. هذه العلاقة بين جازو وكلماته تتخطى الإيجاز، تتمكّن في الصّدق، في الصّدق بين ما يكتبه وما يقوله في الحقيقة لنفسه. هذا التّفاوت، هذه الهوّة، هذا التمرّق بين الشّاعر والإنسان في الذات الواحدة، بين ما ينزل على الورقة كأنّه فقط للورقة، وما يعصر القلب كأنّ تلك اللّحظة هي الأخيرة، هذا الاغتراب مفقود إلى حدّ كبير في كتابات جازو. وهذا ما يميّزها حقاً. إذ مقابل صناعة شعريّة عاليّة الدّقة، وحفر الكلمات بالصواعق كأنّها على الصّخر، وإنزال الكلمة بعد الكلمة كالقطبة بعد القطبة، والكتابة بصوت الشّاعر الخاصّ كأنّه تغريد عصفورٍ للتزاوج، كل هذه الصّناعة يبعدها جازو عن كتاباته ليضع لغته تحت أمرة البسيط، تحت أمرة العاديّ، تحت أمرة كل ما يقوله الجميع لأنّهم لا يريدون أن يفكّروا بما سيقولونه بل أن يشعروه، حتّى وإن قاله قبلهم أحدهم، وحتّى وإن قاله الجميع قبلهم أو معهم. هذه الأمانة للمشاعر كما تُحسّ للمرّة الأولى، هذا الصّدق الخالص بين الحكاية وأبطالها، بين العظام والتراب، هذا الصّدق الذي يميّز كتابات جازو ويعطيها جماليّتها.

إشارة سير الزّمن

الزمن عند الشّاعر هو المؤشّر الوحيد الخاصّ بحالته الدّاخلية. الماضي للتّدم، للاستبعاد، للانكفاء عن الحياة كأن حياة ما لا تزال هناك. المستقبل للاستسلام، للنهاية التي تدير وجهها عن الأحداث كي لا تكون بعدها بداية جديدة. الحاضر للافلات من الاثنين، للانكفاء بالنّظر، للغوص في التّفاصيل التي لا يعرف الآخرون تأملها بعيون الرّهبان، رهبان الحبّ. الحاضر للانشقاق عن البشريّة والانضمام إلى الملائكة، إلى الذين تنقلهم من لحظة للحظة أعينهم، ومن امرأة لامرأة أجنتهم، ومن أعجوبة لأعجوبة طهارة من لم يضع إصبع رجله على الأرض، حتّى ليباركها.

الزّمن عند الشّاعر تكثيف للنهاية، التّنهاية التي تبدأ لحظة يظن أنّ بدايةً ما حدثت، أن هذا الحدث أو ذاك، هذه المفاجئة أو تلك، التّنهاية التي لا يعرف أحد أنّها كذلك إلّا الشّاعر نفسه، وهو بدوره لا يجهد نفسه ليثبت ذلك لأحد، التّنهاية التي تحدث بين زحمة كل شيء، بين جواهر الأمور كخطأ بسيط، كعنوان مغاير، التّنهاية التي لا تقدر أن تكون إلّا نهاية لأنّ كل ما كان يمكن أن يسبقها وما كان يحاول أن يتبعها علق فيها، علق في لغتها مكثّفاً مضغوطاً، معدّاً للانفجار.



لم يتفحصها (وهل يريد ذلك؟) وإمّا يركلها إلى الوراء ليعلقها في سماء الماضي كشهبٍ واجمٍ في الليل.
الأشياء التي يعمل جاهداً الشاعر أن يقولها، مجردة من زمنها الأساسي. يقول مثلاً:
"امرأة تجرّ قطار الساعات،
ضفدع يذرع حانة.
لأجل أعين منهكة،
لأجل فتى منهب الظلال".

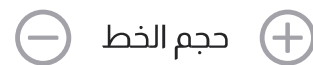
وفي موضع آخر يقول:
"خضت أرصف المساء متحمساً مستاءً،
كانت الأشجار كلماتٍ ودّ صامته،
وعندما فكّرتُ بساكني البيوت،
لم أر سوى الأشباح".

وفي النهاية يستبق النهاية قائلاً:
"ستغلق المخاوف أعيننا،
وتبلغ كلماتنا حواف البحر.
سنجلس عراة على أحجار عارية،
مسوخاً، غباراً، معذبين بضوء الغروب".

الحبيبة عند جازو متحف دهشة واكتشاف. الحياة فيها علامة للتفحص، محرّك. الحبيبة جدارية تتبدّل تحت إمرة الشاعر وعلاقته مع ذاته. هي مصفاة من المكان والزمان حتّى حين يضعها داخلهما بفعل السرد أو الوصف. المكان والزمان وهي فيهما، صلتها المصطنعة بعين الشاعر وما يقوله لها لا يقال لها.
"انظر إلى عينها الأخرى،
إلى حافة سرّته المدوّرة،
انظر إلى التدبة التي تركتها
زهرة انفصالها عن أمّها".



مشاركة عبر



التعليقات

التعليقات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها

الكاتب

دجو القارح

كاتب لبناني



مقالات أخرى للكاتب

"سيرك" نور خليفة: الشاعرة تقفز داخل حلقة نار

الأحد 2025/03/23

شوقي أبي شقرا يطعم فقراء الطّيران

الخميس 2024/10/10

"قولوا هذا موعدي"... ليمنحكم أنسي الحاج دهشته

السبت 2024/08/24

"الماء والنقصان" لعلي القادري: تطوّر الإنسان حتّى البدائية

الاثنين 2024/07/22

الإيغور كطبقة أنساب جديدة في سوريا



الأغنية التي ردت بها ليلي مراد على إسرائيل



الأعمال الكاملة لإياد شاهين: القصائد يُنقذها ...



سلمان رشدي: من الفتوى إلى "السكين"



توبي ناثان: الأمراض النفسية مرآة الثقافة



تابعنا عبر مواقع التواصل الاجتماعي



إشترك في النشرة الإخبارية ليصلك كل جديد

اشترك معنا في نشرة المدن الدورية لتبقى على اتصال دائم بالحدث

أدخل بريدك الإلكتروني

اشترك الآن



جريدة إلكترونية مستقلة

جريدة "المدن" الإلكترونية جريدة الكترونية مستقلة مقرها بيروت تمثل التيار المدني اللبناني والعربي

روابط سريعة

الرئيسية	رأي
سياسة	ثقافة
اقتصاد	ميديا
عرب و عالم	الكاريكاتير
محطات	

معلومات

نبذة عنا	اتصل بنا
إعلاناتكم	خريطة الموقع
وظائف شاغرة	اتفاقية استخدام الموقع
حقوق الملكية الفكرية	

النشرة البريدية

خطوة بسيطة وتكون ممن يطلعون على الخبر في بداية ظهوره

اشترك

أدخل بريدك الإلكتروني

